بن تاشفين وعلى يده انقرض ملكهم وسياتي شرح ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى
وقد تقدم في اوائل هذه الترجمة ان يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش
قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في اخر الكتاب ان مراكش مدينة
عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش معناه امش مسرعا بلغة
المصامدة كان ذلك الموضع ماوى اللصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه
الكلمة فعرف بها وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة
خمس وستين واربعماية قاله ابو الخطاب بن دحيه في كتابه الذي سماه النبراس في خلافة
القايم بامر الله قال وكانت مزرعة لاهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من
الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء وسكون اليا المثناة من تحتها جبل مطل
على مراكش قلت وهو بنواحي اغمات في الغرب الاقصى وذلك انه لما توطنت نفسه على
الملك وطاعته قبايل البربر وذهب من خالفه من لمتونه سمت همته الى بنا هذه المدينة
وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف
وبنى بها القصور والمساكن الانيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها واقربها
منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها وفي سنة اربع
وستين واربعماية نزل يوسف على مدينة فاس وكانت ذات امن قواعد بلاد المغرب
العظام وضيق على اهلها ثم اخذها فاقر العامة بها ونفى البربر والجند بعد ان حبس
بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوي شانه وتمكن بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه
مع ما صار بيده من بلاد جزيرة الاندلس كما شرحناه وكان حازما سايسا للامور ضابطا
لمصالح مملكته موثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم وبلغني ان الامام حجة الاسلام
ابا حامد الغزالي تغمده الله برحمته لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميده وميله الى اهل العلم
عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فوصله خبر وفاته
فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت
اين وجدته وكان يوسف معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق
الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو اول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله وعزة
سلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلث خلون من المحرم سنة خمسماية وعاش تسعين سنة
ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير
ما مثاله سنة خمسماية توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان
حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى اهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر
عن ارايهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلثة نفر اجتمعوا
فتمنى احدهم الف دينار يتجر بها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الاخر زوجته
وكانت من احسن النسا ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم واعطى متمنى المال الف
دينار واستعمل الاخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه
ثم ارسله اليها فتركته في خيمة ثلثة ايام يحمل اليه في كلها طعاما واحدا ثم احضرته وقالت

له ما اكلت في هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النسا شي واحد وامرت له بمال
وكسوة واطلقته فاما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة
سبع وثلثين وخمسماية ومولده حادي عشر رجب سنة ست وسبعين واربعماية
وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي فيكشف منه ولما خرج
عبد المومن بن علي المقدم ذكره قاصدا جهة البلاد الغربية لياخذها من علي بن يوسف
بن تاشفين المذكور كان مسيره على الجبال فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون
في قبالة عبد المومن ومعه جيش فنازلوا في السهل واقاموا على هذه مدة فتوفي علي
بن يوسف في اثناء ذلك في التاريخ المذكور فقدم اصحابه ولده اسحق بن علي وجعلوه نايب
اخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر امر عبد المومن ودانت له الجبال ومنها
غمارة وبلاده والمصامده وهم امم لا يحصى فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر وتيقن ان
دولتهم ستزول فاتى مدينة وهران وهي على البحر وقصد ان يجعلها معقلا فان غلب
عن الامر ركب في البحر الى بر الاندلس يقيم بها كما قامت بنوا امية بالاندلس عند انقراض
دولتهم بالشام وبقية البلاد وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب باعلاها
رباط ياوي اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع
وثلثين وخمسماية صعد تاشفين الى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه
وكان عبد المومن يجمعه في تاخره وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته فاتفق انه ارسل
ميسرا الى وهران فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم
الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكمنوا عشية وعلموا بانفراد تاشفين في ذلك
الرباط فقصدوه واحاطوا به واحرقوا بابه فايقن الذي فيه بالهلاك فخرج تاشفين
راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو فوثب الفرس نافرا ذو عنه ولم يملكه
اللجام من حرف هناك الى جهة البحر على حجارة في وعر فتكسر تاشفين وهلك في الوقت وقتل
الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية اخرى لا علم لهم بما جرى في الليل وجاء
الخبر بذلك الى عبد المومن فوصل الى وهران وسمي الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح
ومن ذلك الوقت نزل عبد المومن الجبل الى الوطا ثم توجه الى تلمسان وهي مدينتان قديمة
وحديثه بينهما شوط فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واخذها في سنة اربعين وخمسماية
ثم قصد مراكش في سنة احدى واربعين فحاصرها احد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي وجماعة
من مشايخ دولتهم قدموه بعد موت ابيه علي بن يوسف بن تاشفين نايبا عن اخيه تاشفين
فاخذها وقد بلغ القحط من اهلها الجهد فاخرج اليه اسحق بن علي ومعه سير بن الحاج
وكان من الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين واسحق دون البلوغ فعزم عبد
المومن ان يعفو عن اسحق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم فخلى بينهم
وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المومن في القصر وذلك في سنة اثنتين واربعين وخمسماية
وانقرضت دولة بني تاشفين قلت وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد ان يوسف بن
تاشفين عاد الى الاندلس في العام الثاني من وقعة الزلاقة وذكرت ههنا ما يدل على انه ما عاد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)